الفصل الأول
سرية أبي سلمة ﷺ إلى قَطَن [١] (بني أسد)
الخميس أول المحرم ٤ هـ /١٣ يونيه (حزيران) ٦٢٥م / ١٩ بؤنة ٣٤١ قبطي
المبحث الأول
عرض سرية أبي سلمة ﷺ إلى قَطَن (بني أسد)

كانت أول حملة عسكرية تأديبية قام بها جيش المدينة ضد الأعراب هي دورية القتال التي بعث بها الرسول ﷺ لضرب قبيلة بني أسد في منطقة نجد.

ففي هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرًا من مهاجر رسول الله ﷺ، أي في السنة الرابعة الهجرية، كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد ﷺ إلى أبي طُلَيْحَةَ الأسدي، فانتهى إلى ماء يقال له: قَطَن.

قال الصالحي: **وَسَبَبُهَا**: أَنَّ رَجُلًا مِنْ طَيِّئٍ اسْمُهُ **الوَلِيدُ بنُ زُهَيْرِ بنِ طَرِيفٍ الطَّائِيُّ** قَدِمَ المَدِينَةَ زَائِرًا ابْنَةَ أَخِيهِ زَيْنَبَ الطَّائِيَّةَ، وَكَانَتْ تَحْتَ **طُلَيْبِ بنِ عُمَيْرِ بنِ وَهْبٍ القُرَشِيِّ العَبْدِيِّ**، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ طُلَيْحَةَ، وَسَلَمَةَ ابْنَيْ خُوَيْلِدٍ تَرَكَهُمَا قَدْ سَارَا فِي قَوْمِهِمَا، وَمَنْ أَطَاعَهُمَا بِدَعْوَتِهِمَا إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدُونَ أَنْ يَدْنُوا لِلمَدِينَةِ، وَقَالُوا: **نَسِيرُ إِلَى مُحَمَّدٍ فِي عُقْرِ دَارِهِ وَنُصِيبُ مِنْ أَطْرَافِهِ، فَإِنَّ لَهُمْ سَرْحًا** (المال السائم) **يَرْعَى جَوَانِبَ المَدِينَةِ، وَنَخْرُجُ عَلَى مُتُونِ الخَيْلِ، فَقَدْ أَرْبَعْنَا خَيْلَنَا** (أي رعاها في الربيع)، **وَنَخْرُجُ عَلَى النَّجَائِبِ المَخْبُورَةِ** (أي المجربة)، **فَإِنْ أَصَبْنَا نَهْبًا لَمْ نُدْرَكْ، وَإِنْ لاقَيْنَا جَمْعَهُمْ كُنَّا قَدْ أَخَذْنَا لِلحَرْبِ عُدَّتَهَا، مَعَنَا خَيْلٌ، وَلا خَيْلَ مَعَهُمْ، وَمَعَنَا نَجَائِبُ أَمْثَالُ الخَيْلِ، وَالقَوْمُ مَنْكُوبُونَ قَدْ أَوْقَعَتْ بِهِمْ قُرَيْشٌ حَدِيثًا، فَهُمْ لا يَسْتَبِلُّونَ دَهْرًا، وَلا يَثُوبُ لَهُمْ جَمْعٌ.**

فَقَامَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: **قَيْسُ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عُمَيْرٍ**، فَقَالَ: **يَا قَوْمِ وَاللهِ مَا هَذَا بِرَأْيٍ! مَا لَنَا قِبَلَهُمْ وِتْرٌ** (الجناية التي يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبي)، **وَمَا هُمْ نُهْبَةٌ لِمُنْتَهِبٍ** (النهب: الغارة والسلب والغنيمة)، **إِنَّ دَارَنَا لَبَعِيدَةٌ مِنْ يَثْرِبَ، وَمَا لَنَا جَمْعٌ كَجَمْعِ قُرَيْشٍ، مَكَثَتْ قُرَيْشٌ دَهْرًا تَسِيرُ فِي العَرَبِ تَسْتَنْصِرُهَا، وَلَهُمْ وِتْرٌ يَطْلُبُونَهُ، ثُمَّ سَارُوا وَقَدْ امْتَطُوا الإِبِلَ وَقَادُوا الخَيْلَ وَحَمَلُوا السِّلاحَ مَعَ العَدَدِ الكَثِيرِ ـ ثَلاثَةِ آلافِ مُقَاتِلٍ سِوَى أَتْبَاعِهِمْ ـ وَإِنَّمَا جَهْدُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا فِي ثَلاثِمِائَةِ رَجُلٍ إِنْ كَمُلُوا، فَتُغَرِّرُونَ بِأَنْفُسِكُمْ وَتَخْرُجُونَ مِنْ بَلَدِكُمْ، وَلا آمَنُ أَنْ تَكُونَ الدَّائِرَةُ عَلَيْكُمْ، فَعَصَوْهُ.**

---

(١) **قطن**: هو جبل بناحية فيد، وهي فلاة في الأرض بين أسد وطيئ، به ماء لبني أسد بن خزيمة. وقال البلادي: قَطَنٌ: جَبَلٌ مَا زَالَ مَعْرُوفًا عَلَى الضَّفَّةِ الْيُسْرَى لِوَادِي الرُّمَّةِ، يَمُرُّ بِهِ الطَّرِيقُ مِنْ الْمَدِينَةِ إِلَى الْقَصِيمِ، وَيُرَى قَطَنٌ مِنْ الطَّرِيقِ عَنْ قُرْبٍ، عَلَى قُرَابَةِ (٣٣٠) كَيْلًا مِنْ الْمَدِينَةِ. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص٢٥٥.

فلما بلغ ذلك رَسُولَ الله ﷺ دَعَا أَبَا سَلَمَةَ ﷺ وَقَالَ: «**اُخْرُجْ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ فَقَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَيْهَا**»، وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً، وَقَالَ: «**سِرْ حَتَّى تَرِدَ أَرْضَ بني أَسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ، فَأَغِرْ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ تَلاقَى عَلَيْكَ جُمُوعُهُمْ**»، وَأَوْصَاهُ بِتَقْوَى الله وَبِمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا.

فَخَرَجَ مَعَهُ فِي تِلْكَ السَّرِيَّةِ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ مِنْهُمْ: أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُهْمٍ وَهُوَ أَخُو أَبِي سَلَمَةَ لأُمِّهِ ـ أُمُّهُ بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ـ، وَعَبْدُ الله بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَعَبْدُ الله بْنُ مَخْرَمَةَ العَامِرِيُّ.

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: مُعَتِّبُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ حَمْرَاءَ الْخُزَاعِيُّ حَلِيفٌ فِيهِمْ، وَأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الأَرْقَمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

وَمِنْ بَنِي فِهْرٍ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ، وَسُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ.

وَمِنْ الأَنْصَارِ: أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ، وَأَبُو نَائِلَةَ، وَأَبُو عَبْسٍ، وَقَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، وَنَضْرُ بْنُ الحَارِثِ الظَّفَرِيُّ، وَأَبُو قَتَادَةَ، وَأَبُو عَيَّاشٍ الزُّرَقِيُّ، وَعَبْدُ الله بْنُ زَيْدٍ، وَخُبَيْبُ بْنُ يِسَافٍ، وَمَنْ لَمْ يُسَمَّ لَنَا.

فَخَرَجَ أَبُو سَلَمَةَ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ، وَخَرَجَ مَعَهُ الطَّائِيُّ دَلِيلًا، وَكَانَ خِرِّيتًا [(١)]، فَأَغَذُّوْا (أَسْرَعُوا) السَّيْرَ، وَنَكَبَ (عَدَلَ) بِهِمْ عَنْ سَنَنِ (السنن: جهة الطريق ونهجه) الطَّرِيقِ وَعَارَضَ الطَّرِيقَ، وَسَارَ بِهِمْ لَيْلًا وَنَهَارًا، فَسَبَقُوا الأَخْبَارَ وَانْتَهَوْا إِلَى أَدْنَى قَطَنٍ ـ مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ بَنِي أَسَدٍ، هُوَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ جَمْعُهُمْ ـ فَيَجِدُونَ سَرْحًا فَأَغَارُوا عَلَى سَرْحِهِمْ فَضَمُّوهُ وَأَخَذُوا رِعَاءَ لَهُمْ، مَمَالِيكَ ثَلاثَةٍ، وَأَفْلَتْ سَائِرُهُمْ، فَجَاؤُوا جَمْعَهُمْ فَخَبَّرُوهُمْ الخَبَرَ وَحَذَّرُوهُمْ جَمْعَ أَبِي سَلَمَةَ، وَكَثَّرُوهُ عِنْدَهُمْ فَتَفَرَّقَ الجَمْعُ فِي كُلِّ وَجْهٍ.

وَوَرَدَ أَبُو سَلَمَةَ ﷺ المَاءَ فَيَجِدُ الجَمْعَ قَدْ تَفَرَّقَ، فَعَسْكَرَ وَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ فِي طَلَبِ النَّعَمِ وَالشَّاءِ، فَجَعَلَهُمْ ثَلاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ أَقَامَتْ مَعَهُ، وَفِرْقَتَانِ أَغَارَتَا فِي نَاحِيَتَيْنِ شَتَّى، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِمَا أَلَّا يُمْعِنُوا فِي طَلَبٍ، وَأَلَّا يَبِيتُوا إِلَّا عِنْدَهُ إِنْ سَلِمُوا، وَأَمَرَهُمْ أَلَّا يَفْتَرِقُوا، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى كُلِّ فِرْقَةٍ عَامِلًا مِنْهُمْ، فَأَبُوا إِلَيْهِ جَمِيعًا سَالِمِينَ، قَدْ أَصَابُوا إِبِلًا وَشَاءً، وَلَمْ يَلقَوْا أَحَدًا، فَانْحَدَرَ أَبُو سَلَمَةَ ﷺ بِذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى المَدِينَةِ رَاجِعًا، وَرَجَعَ مَعَهُ الطَّائِيُّ، فَلَمَّا سَارُوا لَيْلَةً قَالَ أَبُو سَلَمَةَ ﷺ: «**اقْتَسِمُوا غَنَائِمَكُمْ**»، فَأَعْطَى أَبُو سَلَمَةَ ﷺ الطَّائِيَّ الدَّلِيلَ رِضَاهُ مِنْ المَغْنَمِ، ثُمَّ أَخْرَجَ صَفِيًّا لِرَسُولِ الله ﷺ عَبْدًا، ثُمَّ أَخْرَجَ الخُمُسَ، ثُمَّ قَسَمَ مَا بَقِيَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَعَرَفُوا سُهْمَانَهُمْ، فَأَصَابَ كُلُّ إِنْسَانٍ سَبْعَةُ أَبْعِرَةٍ، ثُمَّ أَقْبَلُوا بِالنَّعَمِ وَالشَّاءِ يَسُوقُونَهَا حَتَّى دَخَلُوا المَدِينَةَ وَلَمْ يَلقَوْا كَيْدًا.

وَذَكَرَ أَبُو عُمَرَ وَأَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ مَسْعُودَ بْنِ عُرْوَةَ ﷺ قُتِلَ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ.

[سبل الهدى والرشاد للصالحي ٦/ ٥٤-٥٥].

---

(١) **الخريت**: الماهر الذي يهتدي لأخرات المفازة، وهي طرقها الخفية ومضايقها، وقيل: إنه يهتدي لمثل خرت الإبرة من الطريق. النهاية لابن الأثير ١/ ٢٨٦.

مصادر ومراجع للدراسة:

أ ـ كتب السنة: الأساس في السنة لحوى (١٤٠٩هـ) ٢/ ٦١٣.

ب ـ كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي: المغازي للواقدي (٢٠٧هـ) ١/ ٣٤٠-٣٤٦، الطبقات الكبير (الكبرى) لابن سعد (٢٣٠ هـ) ٢/ ٤٦، دلائل النبوة للبيهقي (٤٥٨هـ) ٣/ ٣١٩-٣٢٢، تاريخ الإسلام للذهبي (٧٤٨هـ) ١/ ٢٢٩، زاد المعاد لابن القيم (٧٥١هـ) ٣/ ٢٤٣، البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤هـ) ٥/ ٤٩٥—٤٩٧، إمتاع الأسماع للمقريزي (٨٤٥هـ) ١/ ١٨١، سبل الهدى والرشاد للصالحي (٩٤٢هـ) ٦/ ٥٤-٥٦، السيرة الحلبية للحلبي (١٠٤٤هـ) ٣/ ١٥٥-١٥٦.

ج ـ كتب السيرة الحديثة: السيرة النبوية الصحيحة للعمري ٢/ ٣٩٨، السيرة النبوية لرزق الله ٤٠٩، السيرة النبوية للصلابي ٢/ ١٧٥-١٧٦.

د ـ كتب الغزوات والسرايا: غزوة الأحزاب لباشميل ٢٣-٢٦، السرايا الحربية في العهد النبوي لطنطاوي ٦٢-٦٤.

هـ ـ كتب أخرى: قادة النبي ﷺ لخطاب ٢١٢-٢١٦، فرسان من عصر النبوة لجمعة ٤٣٥-٤٤٧.

خرائط سرية أبي سلمة ﷺ إلى قَطَن (بني أسد)

(١)

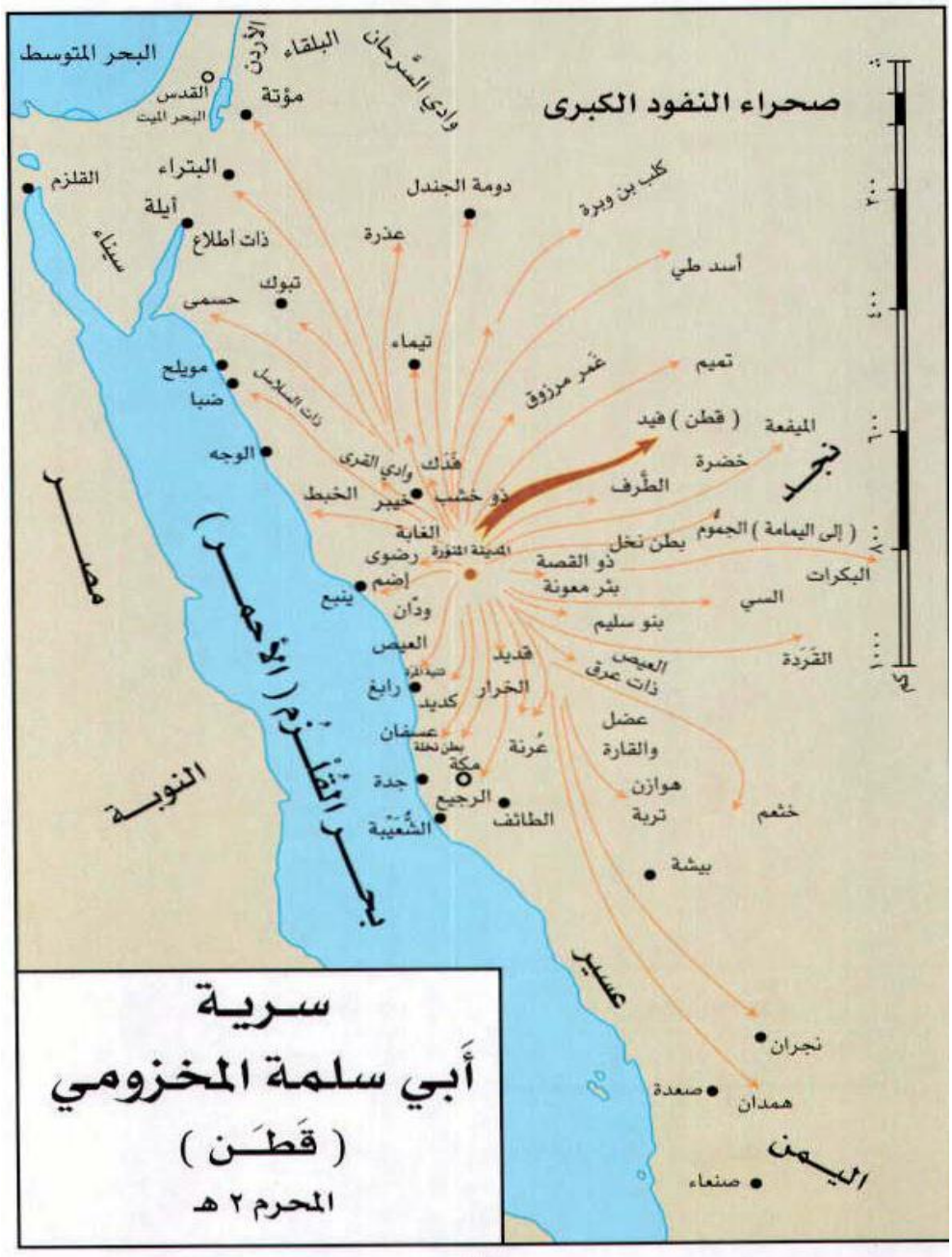

أطلس السيرة النبوية لأبي خليل ص ١٢٥.

(٢)

الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ للمغلوث ص ١٦٩.

(٣)

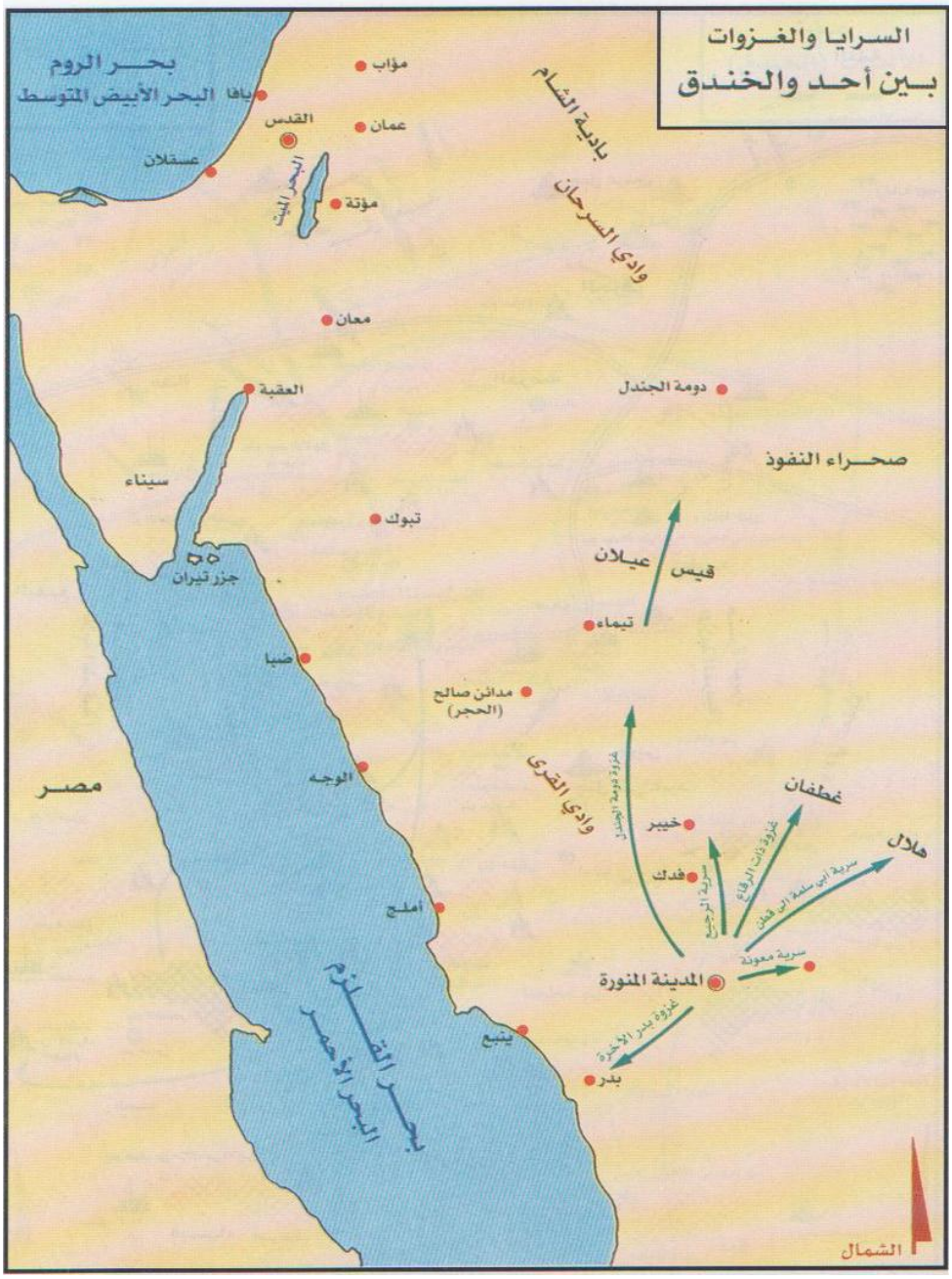

حدائق الأنوار لبحرق ٥٣٩.